

المقدمة

أحدث انهيار الاتحاد السوفيتي، ومن ثم انتهاء الحرب الباردة في أوائل التسعينات، نقلة جذرية في العلاقات الدولية والنظام الدولي والقوى التي تتحكم فيه، نقلته من نظام القطبية الثنائية حيث كانت قوتان عظيمتان super powers تتنافسان فيه على المكانة الدولية، وتسلسل هذا التنافس الذي أخذ أشكالا أيديولوجية وسياسية وسباق تسلح إلى كافة مناطق العالم من آسيا إلى الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وإفريقيا.

وكانت نهاية هذه الحرب الباردة وغياب القوة المنافسة إيدانًا ببروز الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القطب الأوحده على الساحة الدولية، ورغم أن قضية التسعينات قد شهدت جدلاً واسعاً حول طبيعة النظام الدولي الجديد، وحول القوة أو القوى التي ستتحكم فيه، فإن هذه الحقبة قد انتهت وقد تأكد أن الولايات المتحدة هي القوة التي تمتلك مقومات القوة العسكرية والاقتصادية والتكنولوجية بشكل يتفوق على القوى الدولية الأخرى مجتمعة، وكان هذا هو الوضع الذي أفرز نظريات ومفاهيم تعتبر أن هذه اللحظة unipolar moment تؤهل الولايات المتحدة وتعطيها الحق في أن تقود العالم وترسم سياساته وتقرر قضايا الحرب والسلام. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة قد شهدت منذ نهاية الحرب الباردة ثلاثة رؤساء: جورج بوش الأب، وبييل كلينتون، وجورج بوش الابن، ورغم الاختلافات الجزئية في تعاملهم مع وضع أمريكا الجديد، إلا أنهم جميعاً كانوا متفقين على حماية الوضع الأمريكي الاستثنائي، ومنع أية قوة من أن تتحدها، إلا أن هذا الاتجاه قد بلغ قمته في عهد جورج بوش الابن، الذي تبنى بوضوح، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، مفاهيم الاستخدام المفرط للقوة العسكرية وقدمها على الأساليب والوسائل الدبلوماسية، وصاغ إستراتيجيات تدور حول الضربات الاستباقية preemptive strikes، والعمل المنفرد unilateralism

وتجاهل الآخرين بما فيهم الحلفاء، والاستهانة بالمنظمات الدولية، وتجاهل الاتفاقيات الدولية، وقد تجسدت هذه المفاهيم والإستراتيجيات فى حربين ضد أفغانستان والعراق، وقد ساد هذا النهج ولاية بوش الأولى وحيث كانت مجموعة المحافظين الجدد تسيطر على المراكز ودوائر صنع القرار فى البيت الأبيض، والبتاجون بل وفى بعض إدارات وزارة الخارجية. غير أن أكبر تحدٍّ واجه هذا النهج كان الحرب على العراق وثبتت عدم صحة الافتراضات التى قامت عليها وروج لها المحافظون الجدد، وانتهى الأمر بأن وصفت هذه الحرب «بالكارثية» وأصبح الطلب الأمريكى هو البحث عن إستراتيجية للخروج من هذا المأزق الذى لم يتحقق فيه أهداف الحرب وقد جاءت نتائج انتخابات الكونجرس الأمريكى فى نوفمبر ٢٠٠٦ لى تؤكد اقتناع الشعب الأمريكى بفشل الإدارة فى التخطيط وإدارة هذه الحرب.

غير أن أهم ما أكدته خبرة الحرب فى العراق هو الجدل الذى أثاره عدد من الخبراء الإستراتيجيين الأمريكين حول مفهوم الاعتماد على القوة العسكرية وكذلك مفهوم العمل المنفرد، حيث جادل هؤلاء الخبراء لإثبات أن القوة العسكرية، مهما تفوقت لها حدودها وشروطها، وأن السياسة الخارجية الأمريكية يخدمها بشكل أكثر العمل والتعاون مع القوى الرئيسة الأخرى والمؤسسات والمنظمات الدولية.

أما المسرح الدولى الأوسع الذى بدأت السياسة الأمريكية تواجهه فقد تمثل فى الحركة الدولية الحثيثة وخاصة من قوى دولية رئيسة، نحو عدم الرضا بمفهوم القطب الواحد والتفرد الأمريكى، حيث بدأت هذه القوى تعمل وتروج لمفهوم العالم المتعدد الأقطاب multipolar والمشاركة فى القرارات الدولية الكبرى وكان فى طليعة هذه القوى قوى حليفة للولايات المتحدة نفسها مثل فرنسا، وقوى صاعدة مثل الصين، وروسيا، والهند. وقد دعم من هذا التوجه النمو الاقتصادى غير المسبوق لقوى مثل الصين والعمل الدءوب لروسيا فى ظل إدارة بوتين على استثمار قدراتها وتأكيد دورها فى القضايا الدولية ومناوئة الولايات المتحدة فى

عدد من القضايا الإقليمية بشكل جعل البعض يتصور عودة لأجواء وعلاقات الحرب الباردة، هذه الحركة الدولية وما تنبئ به من تحول في علاقات القوى هي التي شجعت دولاً من العالم الثالث على إعادة حساباتها وتوجهها نحو هذه القوى الجديدة في مساهمة لإعادة التوازن في العلاقات الدولية الذي اختل على مدى الحقتين الماضيتين.

كان ما تقدم هو الإطار العام الذي دارت حوله وناقشته مقالات هذا الكتاب (*) وهي تقدم صورة للعلاقات الدولية والإقليمية وقضاياها كما تطورت خلال الأعوام القليلة الماضية.

أما مضمون الكتاب فإنه يتكون من أربعة أقسام، يعالج القسم الأول قضايا شرق أوسطية فيقدم رؤية خبير إستراتيجي أمريكي، هو ريتشارد هاس الرئيس الحالي لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، لمستقبل الشرق الأوسط خلال الحقبة أو الحقب القادمة ويحدد ملامح ما يسميه «الشرق الأوسط الجديد» والأخطاء التي يمكن أن ترتكبها السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة، والفرص التي أمامها.

كذلك يعالج هذا القسم عدداً من القضايا مثل موضع الشرق الأوسط في الإستراتيجية الأمريكية، والدعوة الأمريكية إلى الديمقراطية وتأثيرها على العلاقات الأمريكية العربية، وناقش المسألة النووية في الشرق الأوسط في ضوء الخبرة الدولية في قضايا التسليح النووي، ويتساءل عن إمكانية استخدام الدعم الأمريكي لإسرائيل في ضوء ما أثاره أستاذان أمريكيان حول تأثير اللوبي اليهودي على السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط.

ومع توافق مرور خمسين عاماً على حرب السويس يناقش هذا القسم المقدمات الإقليمية والدولية التي مهدت لهذه الحرب وقادت إليها.

(*) نشرت معظم مقالات هذا الكتاب في عدد من الصحف والدوريات المصرية والعربية.

ويخصص الكتاب قسمه الثاني للقضايا الأمريكية، فيناقش الوضع الدولي للولايات المتحدة في ضوء المشهد الدولي القادم وصعود القوى الثلاث: الصين، وروسيا، والهند، وتأثير ذلك على مكانة أمريكا الحالية باعتبارها القطب الأوحيد في النظام الدولي، ويعرض لرأى خبراء أمريكيين بما تحتاجه السياسة الخارجية الأمريكية لكي تكون أكثر فعالية وأكثر نجاحاً.

ومع مرور خمس سنوات على أحداث ١١ سبتمبر يناقش القسم تأثيرات هذا الحدث على السياسة الخارجية الأمريكية وبشكل خاص على العالمين العربي والإسلامي، ويعرض الكتاب لعناصر إستراتيجية للأمن القومي الأمريكي التي صدرت عام ٢٠٠٦ ويقارنها بالإستراتيجية التي تبنتها الإدارة عام ٢٠٠٢ وما تضمنته من مفاهيم.

كذلك يناقش الكتاب علاقات الولايات المتحدة مع كل من الصين وروسيا والنقاش الأمريكي الدائر حول النظر إلى هاتين القوتين وكيفية إدارة العلاقات معهما.

ويناقش القسم الثالث عدداً من القضايا الدولية فيتعرض لمنظمة الأمم المتحدة ويقدم رؤية خبير إستراتيجي هو بول كينيدي لماضي وحاضر ومستقبل المنظمة الدولية والنقاش الدائر حول إصلاحها وخاصة جهازها الرئيس وهو مجلس الأمن، كما يناقش هذا القسم القضايا الدولية التي أفرزها الإرهاب، مثل العلاقة بين الإسلام والغرب والانتشار النووي وتأثير مكافحة الإرهاب على الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأوضاع الجاليات المسلمة في المجتمعات الأمريكية والغربية، كما يتعرض للنقاش الدائر بين الإسلام والغرب، ويبرز أصواتاً عاقلة صدرت في الغرب من أجل مزيد من التفاهم بين الثقافتين.

أما القسم الرابع فهو يتناول قضايا مصرية تتصل بإدارة السياسة الخارجية المصرية وتتضمن الدعوة إلى إنشاء مجلس للأمن القومي يناقش قضايا السياسة الخارجية بشكل مؤسسي وي طرح خيارات وبدائل التعامل مع هذه القضايا، كما يناقش العلاقة المصرية مع عدد من القوى الدولية مثل الولايات المتحدة الأمريكية والحاجة إلى تطوير حوار إستراتيجي يدير علاقات البلدين على أساس مؤسسي منتظم، وكذلك مع الصين والحاجة إلى تطوير علاقات التعاون الإستراتيجي معها على المستوى الثنائي والدولي.

يوليو ٢٠٠٧

د. السيد أمية شلبي